حقائق تغيّبها تبجّحات إسرائيل

انطوان شلحت

مع استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزّة تزداد التقييمات في وسائل الإعلام الإسرائيلية التي تحاول تسليط الضوء على حقائق صارخة، تُغيّبها التبجّحات التي تسم التصريحات والمواقف الرسمية للمسؤولين في المؤسّستين السياسية والأمنية، وتعكس تأويلات لا أكثر، أو تعكس عمدية إيستمولوجية تغذّي العدمية الأخلاقيّة، بموجب تعابير أوساط أكاديمية محدودة. لعلّ أهم هذه الحقائق اثنتان: الأولى عدم تمكّن الجيش الإسرائيلي من فرض سيطرته التامة على أي من مناطق قطاع غزّة بما في ذلك منطقة الشمال كما ادّعى ولا يزال، بالرغم من دخول الحرب شهرها الخامس. ووفقًا لآخر مقاربات حتى المحلّل العسكري لصحيفة يسرائيل هيوم اليمينية، التي تروّج سياسة بنيامين نتنياهو، فإن الجيش الإسرائيلي يمارس ضغوطاً قاسية على حركة حماس في خانيونس، ولكنه لا ينجح في استهداف كبار قادتها. كذلك يعمل الجيش الإسرائيلي في الأيام الأخيرة في مناطق شمال قطاع غزّة، ولكن «حماس» عادت إلى إظهار مؤشّرات حوكمة جديدة في هذه المناطق، ناهيك عن أنه لم تتم بعد معالجة قضيتي رفح ومحور فيلادلفيا الحدودي مع مصر، ما يعني أن استكمال أهداف الحرب ما زال بعيداً للغاية.

ثاني تلك الحقائق أن تحقيق انتصار على المقاومة الفلسطينية في القطاع بواسطة القوة الهائلة التي في حيازة إسرائيل، وهي قوة غير مشكوك فيها بتاتاً، يعتبر ضرباً من الخيال. ومن آخر النماذج على هذا الحكم ما بدر عن الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية (أمان)، اللواء احتياط أوري ساغي، في سياق مقال نشره في صحيفة يديعوت أحرونوت يوم 2024/2/4، بعنوان «ليس بالقوة وحدها»، خلص فيه إلى أن القوة ليست كل شيء. وكذلك ما أكّده المسؤول السابق في جهاز الأمن العام (الشاباك) وعضو الكنيست السابق من حزب الليكود إيهود ياتوم، ضمن مقال في صحيفة معاريف يوم 2024/2/5، شدّد فيه على استحالة تحقيق انتصار بواسطة القوة العسكريّة فقط. وبطبيعة الحال، لا تصدر مثل هذه المواقف عن هذيْن المسؤوليْن الأمنييْن السابقيْن، ومثلهما كثر، من منطلق معارضة الحرب أو مناهضة الاحتلال وتأييد القضية الفلسطينية... إلخ، ولكنها تعبّر عن ازدراء التصريحات المتواترة التي تصدُر عن القادة السياسيين والعسكريين بشأن الانتصار، ناهيك عن أنها تعكس الأزمة التي تحيق بالعمليات العسكريّة الإسرائيلية في القطاع، والعلاقة غير الواقعية بين سير تلك العمليات والأهداف التي وضعتها الحكومة الإسرائيلية للحرب ولا تزال تصرّ على تحقيقها. ولا بُدّ من إضافة أنها تنطوي في العمق على إقرار بقدرات المقاومة ومقدراتها. بيد أن متابع الشأن الإسرائيلي في صلب هذه التقييمات يلمس محاولة لصوغ مبرّرات لعدم الانتصار هذا الذي بات يرتسم في أفق الحرب المتواصلة، وفي مقدّمها المبرّر المتعلق بموضوعي رفح ومحور فيلادلفيا. فمنذ عدة أيام، تروّج أبواق رئيس الحكومة بأنه لا يمكن تحقيق انتصار على «حماس» واستعادة الأسرى في غزّة من دون معالجة محور فيلادلفيا على وجه الخصوص، وتردّد ادّعاءً فحواه أن عدم احتلال هذا المحور مباشرة مع بداية المناورة البرّية كان بمثابة خطأ فادح. كما تجاهر بأن الفائدة من احتلال المحور الحدودي معروفة، وقد طُرح الموضوع أكثر من مرّة في وسائل الإعلام، فعن طريقه يتدفق السلاح الذي عاظم القدرة العسكرية لحماس من الأراضي المصرية إلى قطاع غزة، حتى ولو يتردّد أن أغلبية السلاح الذي تستخدمه المقاومة صُنع داخل القطاع. ومثلما كتب أخيراً أحد أبرز أبواق نتنياهو، وهو أمنون لورد، كبير المعلقين في صحيفة يسرائيل هيوم، فمن الواضح أن الصواريخ الروسيّة المضادة للدروع بمختلف أنواعها وصلت بواسطة التهريب تحت الأرض من الأراضي المصرية، عبر الأنفاق أو بوسائل أخرى عن طريق محور فيلادلفيا. ويرأيه، ما من شك في أنه من أجل وقف عمليات التهريب إلى «حماس»، ومنْع تعاظُم قوتها العسكرية من جديد بعد انتقال قطاع غزّة إلى مرحلة إعادة الإعمار، يجب السيطرة على المحور المذكور.

عن أطروحة هزيمة الغرب بفعل أميركا

عبد اللطيف السعدون

تابى أميركا أن تتخلّى عن إشعال الحرائق، وإذكاء الحروب والصراعات التي تروّج أبشع أنواع العنف، وأسوأ أشكال العنصرية منذ اختارت طريق فك العزلة، والدخول إلى العالم، حاملة القنبلة الذرية في يد، والدولار في يدها الأخرى، وبدأت خطواتها الأولى بصنع تراجيديا هيروشيما وناغازاكي في اليابان. ولم تتورّع بعدها عن الضرب في أكثر من مكان، لتكرّس نفسها شرطياً للعالم، ولتتحول اليوم، بفعل مخطّط تاريخي مرسوم إلى شريك مباشر مع إسرائيل في حربها على غزة، بالسلاح والمال والدعم اللامحدود، وكذلك في استخدامها حقّ الفيتو لقطع كل فرصة لوقف الحرب، وهي في أوكرانيا تجد ضالّتها في إذكاء مزيد من الوقود على النار المشتعلة هناك لتزيدها اشتعالا، هكذا هي أميركا التي قال عنها مرّة المفكر الفرنسي فرانز فانون إنها تريد تحقيق مجدها الإمبراطوري فوق الأشلاء، وعلى فوّهات البراكين؛ ومع ذلك، فإن هناك من يصرّ على الإرادة الأميركية بأسباب كثيرة، إلا أن أصواتا عديدة شرعت تعلو، بخاصة في أوروبا، محذّرة من أن واقع الحال ينذر بهزيمة الغرب كله، بفعل السياسات والتوجهات الأميركية المؤغلة في العدوانية.

نظر لهذه الفكرة أخيراً المفكر وعالم الإنثروبولوجيا الفرنسي، إيمانويل تود، وقد كان الأكثر دقةً من بين مؤرّخين وباحثين عديدين سبقوه في هذا المنحى. يقرّ تود بتراجع الأخلاقيات التي بشّرت بها الديانة البروتستانتية لدى شرائح المجتمع الأميركي، والتي كانت قد انتُجت، في رأيه، الانتشار العالمي للقراءة والكتابة، وصولاً إلى مستويات أكاديمية عالية في مختلف مناحي العلم، واوصلتنا، بالتالي، إلى هذا الانفتاح المذهل للتكنولوجيا التي نعيشه اليوم، لكن هذا التطوّر الآفت أقترن بجانب سلبيّ تمثل في صعود أسوأ أشكال العنصرية كما وضح ذلك في معاداة السود واحتقارهم، وما نراه نحن اليوم في تماهي الإدارات الأميركية المتعاقبة مع السياسات العنصرية الصهيونية.

قاد هذا التراجع، بشرح تود، إلى نمو النزعة العدمية في المجتمع الأميركي، وإلى تدهور فكري، وظهور الجشع الجماعي باسم «النيوليبرالية»، وفي هذا التحليل الذي يركّز على غياب القيم الروحية لا يرى المفكر الفرنسي فيه حالة رثاء لما كان، وإنما هو إنذار بالخطر المحيق، والذي بدأت طلائعه في التدهور الآفت في الميدان الصناعي، الاقتصادي الذي كان الأميركيون يتبجّحون به دائما، والذي حصل على خلفية غياب أخلاقيات العمل وانخفاض المستويات التعليمية، حيث يصبح الناتج الإجمالي مجرّد فقّاعة.

الأمر الآخر الذي يحذّر إيمانويل تود منه هو «ترويج فكرة اختيار المرء جنسه كان بصيح الرجل امرأة، والمرأة رجلا»، يقول تود: «ذلك مستحيل بيولوجيا، إنه إنكار للواقع وتأكيد للزيف، وسببه اختفاء الدين من الحياة اليومية وانهيار القيم الروحية، وشأنه شأن تمجيد العنف إلى درجة الانغماس في الجريمة المنظمة الذي يجرّ إلى مخاطر، وربما كوارث اجتماعية، إذ يتحوّل المجتمع في ظله إلى مجتمع ضائع، ولا معنى له». وهذا ما حدث في أوروبا بفعل التأثير الأميركي، وهو ما أشاع استفزازات وتجاذبات، وصراعات في مختلف أنحاء العالم، وما نشاهده عديدة شرعت تعلو، بخاصة في أوروبا، محذّرة من أن واقع الحال ينذر بهزيمة الغرب كله، بفعل السياسات والتوجهات الأميركية المؤغلة في العدوانية.

نظر لهذه الفكرة أخيراً المفكر وعالم الإنثروبولوجيا الفرنسي، إيمانويل تود، وقد كان الأكثر دقةً من بين مؤرّخين وباحثين عديدين سبقوه في هذا المنحى.

يقرّ تود بتراجع الأخلاقيات التي بشّرت بها الديانة البروتستانتية لدى شرائح المجتمع الأميركي، وقتل أية إمكانية بخلاف ذلك، معتبراً هذا التأثير «نوعاً من الإرهاب»، لكن «أميركا سوف تفشل، والمتماهين معها سيخسرون، لأن الواقع هو الذي يفوز، وأفضل شيء يمكن أن يحدُث هو انسحاب الولايات المتحدة والعودة إلى عزلتها». وفي النهاية، يقرر المفكر الفرنسي أن «أميركا تسير على نهج عدواني، لأن الطبقة الحاكمة فيها خالية من الأخلاق، ولم يعد لديها دين، وكل ما تبقى لها هو المال والحرب، والمتعة الزائفة التي تخلق الفوضى وعدم الاستقرار في العالم، وهذا ما تواصل فعله في كل مكان».

(كاتب عراقي في كراكاس)

عودة إلى مبادرة «خطوة خطوة» مع دمشق

رانيا مصطفى

تفيد الزيارات المتعدّدة لمستشار البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط بريت ماكجورك، إلى دول عربية، وبحث فيها مسارات تتعلق بالملف السوري، بأن واشنطن هذه المرّة هي من حرّك إعادة إحياء المبادرة الأممية «خطوة مقابل خطوة»، والتي كانت عمّان قد تبنتها، ثم أبوظبي والرياض، وبناءً عليها أعيدت سورية إلى مقعدها في جامعة الدول العربية، منتصف العام الماضي. أعادت الإمارات والسعودية سفيريهما إلى دمشق أخيراً، فيما تُعَدّ الخطوة المقابلة المطلوبة من دمشق تنازلاً كبيراً، وهي التعاون على تقويض النفوذ الإيراني في سورية. ويبدو أن المطلوب أن يقابلها نفوذ عربي خليجي، في عودة إلى منطق إرساء توازن بين الخليج وإيران في النفوذ في سورية ولبنان وفلسطين. كان إعلام النظام السوري قد تبنّى موقفاً داعماً لغزّة عقب عملية طوفان الأقصى، وهاجم الدول المطبّعة مع إسرائيل، لكنه انكفأ سريعاً عن هذا الموقف بعد التصعيد الذي تبنّته ادرع إيران في كل المنطقة ضد إسرائيل وضد الوجود الأميركي في سورية والعراق؛ وهو ما دفع نظام دمشق إلى التحرّك، وإجراء تغييرات داخلية في الجيش والأجهزة الأمنية، ومحاربة الفساد، أمني إقليمي واسع يشمل إسرائيل والفلسطينيين والعرب. إذ يبحث بايدن بعدم نيّته الانخراط في فتح جبهة مع إسرائيل من جهة، وأنه قادر على تفعيل مؤسّسات الدولة مجدّداً، وأن دوره أساسي في مستقبل سورية، ومن ضمنها مكافحة الكبتاغون، وتلتقي عنده مصالح أطراف متعدّدة، منها الولايات المتحدة والعرب وإسرائيل.

هذا لا يعني أن إدارة بايدن باتت معنيةً بإعادة تأهيل النظام السوري، رغم أن التصريحات الأميركية السابقة كانت تطلب من نظام دمشق «تغيير سلوكه» شرطاً لإسقاط العقوبات المفروضة عليه، وللسماح للدول التي أعادت علاقاتها معه أن تمضي في استثماراتها في سورية. الإدارة الأميركية معنية بالانتخابات بعد أقل من عام، وحظوظ الرئيس بايدن بالفوز مجدّداً تتراجع، خصوصاً مع الفشل الإسرائيلي في حسم سريع للمعركة في غزّة، رغم الدعم الأميركي السخي، الدبلوماسي والعسكري والاقتصادي لتل أبيب. وتتضمّن عقيدة بايدن الجديدة في الشرق الأوسط، والتي يبدو أنها ستكون جزءاً من برنامجه الانتخابي، ثلاثة ملفّات مترابطة، وهي موقفٌ حازمٌ من إيران واستفزازاتها العسكرية، ومبادرة دبلوماسية أميركية لإقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح في الضفة الغربية وغزّة، وإنشاء تحالف إقليمي واسع يشمل إسرائيل والعرب، إذ يبحث بايدن عن أوراق جديدة يحقّق عبرها الإنجازات، ومنها الملف السوري، ومن زاوية تقليص نفوذ إيران في سورية لمعاقبتها على اعتداء الميليشيات التابعة لها على القواعد الأميركية المنتشرة في العراق وسورية؛ وأيضاً لمنح حلفائه في الخليج دوراً موازناً في سورية، وإفشال التقارب السعودي الإيراني برعاية صينية، والمضي في إنشاء «ناتو» عربي، تقوده إسرائيل بحكم تفوّقها العسكري النوعي. يحاول النظام السوري، عبر تغييرات داخلية شكلية بشأن تفعيل مؤسّسات الدولة ومحاربة الفساد، أن يوحي بقدرته على السيطرة والحكم والابتعاد عن طهران. واقع الحال أن بنية نظام دمشق مُتكاملة من الداخل، يتحكّم بها أمراء الحرب المرتبطون بالعائلة الحاكمة، ومن ضمنهم تجّار الكبتاغون؛ ويعتاش اقتصاد النظام على الضرائب وعلى سحب العملات الصعبة من جيوب السوريين، وخصوصاً ما يصل إلى الداخل من تحويلات المغتربين، ويسن القوانين والعقوبات التي تخفّف من انحدار قيمة الليرة السورية، من دون أن يلقي بالاً لارتفاع أسعار السلع الأساسية الجنوني الذي يُحدث أزمة معيشية خانقة. الأهم أن النظام، منذ 2013، مسنود بالتدخّل الإيراني المليشياوي، وطهران أو حتى عبر الانتخابات، فإن مخطّطه الأساسي ينحصر غالباً في الحفاظ على بقائه، سواء عبر الارتباط بطغمة عسكرية أو انقلاب دستوري، وحتى الارتهان لقوة أجنبية مهما كانت، سواء كانت المستعمر السابق أو مجموعات من المرتزقة أو أي قوة أجنبية تساعده على السيطرة.

استقرار المقابر الذي يفرضه نظام الاستبداد عبر قمع المعارضة وتصحّر المشهد السياسي يجعل من فكرة الانتقال السلمي للسلطة أمرا صعب المنال، وهو ما يفضي غالبا إلى ثورات عنيفة أو إلى الفوضى والحرب الأهلية كما نرى في حالات الصومال من بعد سياد بري والسودان ما بعد عمر البشير.

وما زاد في تفاقم حالة الفوضى تحوّل هذه الأنظمة إلى مجرّد واجهة لصراعات دولية، فالنزاعات الإقليمية في أفريقيا ليست سوى الأشكال المرئية للصراعات الداخلية، سواء بين الدول الغربية وروسيا والصين، أو حتى من داخل دول «الناتو» ذاتها من أجل السيطرة على الفضاء الجيواستراتيجي لمنطقة الساحل، والوصول إلى الثروات الجوفية غير الخاضعة للسيطرة. ولم تتردّد القوى الأخرى في أخذ نصيبها من «الفطيرة». كان لانهيار النظام السياسي الليبي تداعيات مباشرة في دول الساحل، أبرزها مالي والنيجر وبوركينا فاسو ولا يمكننا استبعاد السودان وتشاد من تأثير العوامل الخارجية نفسها التي تدخّلت لدعم خليفة حفتر في الشرق الليبي. ومن ثم، فإن انتشار الأسلحة وحرية تداولها، وتمكين الجيوش الخاصة بمرتزقة أو بدونهم، وتدفقات الهجرة غير الخاضعة للرقابة، ساهمت، إلى حد كبير، في تفاقم التوترات الداخلية. وقد أدّى ذلك إلى تفضيل الاستخراج غير المنضبط للثروات الأفريقية، وخصوصا المعادن النادرة. إن بعض الجيوش الأفريقية التي تظاهرت بأنها بصدد التحرّر من النفوذ الفرنسي إلى السلطة، سواء عبر انقلاب عسكري أو انتخابات، سرعان ما وقعت في فخّ التحالف مع مرتزقة فاغنر وقوى أخرى ترغب في الهيمنة على الثروات الأفريقية مقابل ضخّ الأسلحة ومزيد من نشر الفوضى.

أصبحت حالة الفوضى المترتبة عن انهيار أنظمة الاستبداد سياسة مقصودة لذاتها، وكذلك منع التطور السياسي للدول الأفريقية، وهو ما جعل بناء أنظمة ديمقراطية مستقرّة مطلبا بعيد المنال في ظل التحالفات بين حاملي السلاح والقوى الأجنبية، ولكن في سياق حرب مستنقعية في منطقة الساحل من دون انتصار أو فعالية حقيقية على المدين المتوسط والطويل، وهو ما يمنع بناء أنظمة سياسية فعلية، فلا يمكن، مثلاً، أن نتصوّر أن مليشيات الدعم السريع في السودان مثلا قادرة على حكم الدولة، حتى وإن تمكّنت من تفتيت الجيش السوداني، لأنها ببساطة مبنية على فكر سياسي مليشياوي، يقوم على منطق الغنيمة، وما يسمح باستمرار «التجارة» غير المتأفقة في استخراج المواد الخام وتصديرها. وهو ما يعني أن إمكانية بناء أنظمة وطنية ديمقراطية ما زال مستبعدا في ظل انعدام أي إرادة سياسية للسعي نحو حل هذه المشكلات المزمنة.

(كاتب تونسي)

> ترى روسيا في العودة إلى مبادرة «خطوة خطوة» فرصة لفتح قنوات تواصل مع الأميركيين، وإن غير مباشرة، قد تقود إلى تفاهماتٍ بشأن سورية

تجد التغلغل في دوائر القرار السوري، وقد اكتسبت قدرة على التحرّك داخل الأراضي السورية من دون أي تدخل من النظام ومخابراته. وبالتالي، بات بقاء النظام في الحكم مرهوناً بهذا الوجود الإيراني في سورية، ومن غير المرجّح أن يقبل مبادرات تحدّد صلاحياته في الحكم في مرحلة انتقالية وصولاً إلى تطبيق قرار مجلس الأمن 2254. وتحتاج هذه الفرضية تنسيقاً أميركياً مع الروس لا يسمح به الوضع الدولي المتأزم؛ وموسكو راغبة في تقليص الوجود الإيراني في سورية، بسبب منافسة طهران لها على الاستثمارات، وبسبب تفوّق الأخيرة في القدرة على السيطرة على الأرض والتوغل في دوائر النظام الضيقة.

رغم ذلك، تعتقد روسيا على المليشيات التابعة لإيران للحفاظ على مناطق سيطرة النظام، خاصة أن جيشه منهك، وأن الجبهات السورية المختلفة بين خطوط التماس ما زالت في حالة تسخين وقابلة للتفجّر، طالما أنه لا توجد اتفاقيات نهائية تقود إلى تسوية سياسية، وهي غير مستعدّة لدفع تكاليف تجنيد المقاتلين كما تفعل طهران. وفوق ذلك، عجزت موسكو عن تقديم بدائل سياسية عن النظام، ووضعت كل بيضها في سلة استمراره في الحكم؛ لكنها، في الوقت نفسه، لم تجنِ ثمار تدخّلها العسكري في سورية، خصوصا عقود الاستثمار طويلة الأمد التي استحوذت عليها، ويحتاج هذا إلى انفراج سياسي وإزالة العقوبات الاقتصادية عن سورية والسماح بتدفق أموال إعادة الإعمار. لذلك لا تعارض موسكو الخطوات العربية بانفتاح جديد على دمشق، بل وتدعمها، وتدعم ابتعاد النظام عن إيران. وعلى العكس من ذلك، طهران منزعجة من المنظام؛ اتهمت أجهزته الأمنية بتسريب معلومات حول تحرّكات مستشاري الحرس الثوري في دمشق، الذين قُتلوا في ضربة إسرائيلية نوعية في حي المزّة، وطلبت كذلك من النظام توضيحاتٍ حول مبادرة «الخطوة خطوة»، وسحبت ضبّاطها من سورية لتقليل حجم الخسائر بسبب الانتقامات الإسرائيلية والأميركية. لكن طهران تمتلك ديناميكية عالية تمكّنها من التأقلم مع الوضع الجديد وإعادة تموضع مليشياتها في سورية، وتقليل الأضرار.

الخطوة المطلوبة من دمشق، وهي الابتعاد عن طهران، تعني رضوخه لمتطلبات المرحلة الانتقالية، وقبوله التخلّي عن السلطة؛ فحجم العقوبات والإدانات الدولية له تمنع إعادة تعويمه سياسياً. يحتاج الحل السياسي إلى ترتيبات أميركية - روسية وبمشاركة تركية، حتى يكون لهذه الخطوة معنى؛ ترى روسيا في العودة إلى مبادرة «خطوة خطوة» فرصة لفتح قنوات تواصل مع الأميركيين، ولو غير مباشرة، قد تقود إلى تفاهماتٍ بشأن سورية، وتفتح طريق الصفقات في أوكرانيا. وغير ذلك، ستبقى الخطوة العربية المقدّمة للنظام رمزية، مقابل تقديمه خطوات شكلية، ما يعني على المدى القريب استمرار الاستنقاع السوري.

(كاتبة سورية)

خدعة الحديث عن الدولة الفلسطينية حلاً

علي انوزلا

كثر الحديث في الأيام الأخيرة عن حلّ الدولة الفلسطينية الموعودة، والمفارقة أنه حديث يأتي من الدول الغربية المشاركة في حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني. من بريطانيا، سبب كل الشرور في العالم العربي وأول مسؤول عن 130 عاما، ومن الولايات المتحدة المسؤولة الأولى عن كل الكوارث التي حلت بمنطقة الشرق الأوسط من العراق إلى ليبيا مرورا بفلسطين منذ أكثر من سبعة عقود، ومن فرنسا التي دعا رئيسها، بعد هجوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول، إلى إنشاء حلف عسكري دولي لاستئصال حركة حماس. ووجد هذا الحديث صدى له داخل العواصم العربية نفسها التي دأبت أنظمتها المستبدة على استغلال القضية الفلسطينية لتحقيق أجنداتها المتواطئة مع الكيان الصهيوني.

لم تمل الحديث وتوقيته مواقف قانونية أو سياسية، وأبعد من ذلك لا يعكس التفاتة إنسانية من هاته القوى الغربية التي ما زالت تدعم الحرب الإجرامية الإسرائيلية على سكان غزّة عسكريا وماديا ولوجستيكيا ودبلوماسيا وإعلاميا وقانونيا، وإنما أملّه خططها البشعة لإنقاذ حليفتها إسرائيل بعدما غرق جيشها في وحل غزّة، وأيضا لامتصاص غضب الرأي العام العالمي المتنامي من جرائم إسرائيل اليومية ضد المدنيين العزّل في غزّة المحاصرة والمدمّرة، وترميم صورة إسرائيل في الغرب، بعدما بدأت تتكشّف حقيقة الخدع والأساطير التي أقامت عليها كيانها الاحتلالي.

لو كانت هذه العواصم جادّة فعلاً في حديثها عن قيام دولة فلسطينية لبادرت بالاعتراف بها قبل هذه الحرب الإجرامية بسنوات، فهناك نحو 139 دولة تعترف بالدولة الفلسطينية العضو المراقب داخل هيئة الأمم المتحدة، والدول التي تتحدّث اليوم عن الاعتراف بها هي التي تعرقل علانية أو داخل الكواليس حصول الدولة الفلسطينية على العضوية الكاملة، دولة مستقلة، داخل الأمم المتحدة. واشتراطها الاعتراف بها بعد وقف الحرب يؤكّد عدم جدّيتها، بل ويكشف عن الخدعة المبّيتة من وراء هذا الحديث، وخصوصا أنه سبق للدول نفسها أن وعدت مرّات بالاعتراف بالدولة الفلسطينية وأخلت بوعودها. حدث ذلك عام 1993 حين التوقيع على اتفاقيات أوسلو التي حدّدت سقفاً زمنياً للاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة عام 1999، شرط اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل، كما تكرر وعد العواصم الغربية نفسها بالاعتراف بدولة فلسطين عام 2003، في إطار ما كان قد سمّيت «اللجنة الرباعية» التي كانت تضم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة، مقابل وقف الفلسطينيين انتفاضتهم، وقد مضى أكثر من عقدين على ذلك الوعد الكاذب، أوقف الفلسطينيون انتفاضتهم واستمرّت إسرائيل في الاستيطان والتوسّع في الاحتلال، وأعترفت الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل، وضغطت على دول أخرى للاعتراف بها ونقل سفاراتها إليها، ونسي العالم شيئاً اسمُه الدولة الفلسطينية التي لم يعد لها وجود داخل مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي رسمت معالمه الجديدة «اتفاقات أبراهام» المشؤومة، إلى أن جاء «طوفان الأقصى» ليربك هذه الخطط الجهنمية، ويعيد خلط الأوراق. لذلك، العودة اليوم إلى الحديث عن قيام الدولة الفلسطينية ممّن كانوا يخططون لمحو آثارها ليس بريئا، وإنما هو خدعة واضحة للعيان تفضح أغراضها أسباب إثارة الموضوع في هذه اللحظة بالذات.

السبب الأول، إنقاذ إسرائيل من الفشل الذي منيت به حربها الإجرامية، بعدما غرق جيشها في وحل غزّة ورمالها، وسقطت كل خططها العسكرية وفشلت في تحقيق أيٍّ من أهدافها سواء السياسية أو العسكرية أو الاستراتيجية. وفي المقابل، منيت بأكثر من هزيمة، سوف تتكشّف ملامحها بعد انتهاء حربها على غزّة، سواء على المستوى الاستخباراتي أو الأمني أو العسكري، وفقد جيشها هيبته وما كان يدّعيه من أخلاق، وأصبح قادته وعناصره مهدّدين بالملاحقة القضائية في العالم بسبب الجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبونها في غزّة والضفة الغربية ضد الأطفال والنساء والمدنيين العزّل الأبرياء.

السبب الثاني، محاولة احتواء تنامي وعي الرأي العام الغربي الذي بدأ ينقلب ضد ساسته ويتهمهم بالتواطؤ مع إسرائيل في جرائمها. وفي حالات أخرى، أصبح هذا الرأي العام ينتقد صرف حكوماته أموال دافعي ضرائب بلدانهم لدولة إسرائيل الاستعمارية التي ترتكب جرائم ضد الإنسانية. وفي دولة مثل الولايات المتحدة، تهدف إدارة الرئيس جو بايدن من حديثها الزائف عن قيام دولة فلسطينية إلى استعادة ثقة جزء واسع من الرأي العام الأميركي في أوساط العرب والمسلمين والديمقراطيين، الذين باتوا يشكّلون مصدر تصويت عقابي قد يحول دون إعادة انتخاب بايدن في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل.

السبب الثالث لهذه الحماسة المتأخرة للدعوة إلى الاعتراف بدولة فلسطينية حفظ وجه ماء الأنظمة العربية المتواطئة فعلاً أو بسكوتها، مع أكثر الحروب الإسرائيلية الغربية إجراما في حقّ الفلسطينيين، وإنقاذاً من تداعيات هذه الحرب مستقبلاً، فطوفان الأقصى أعاد ثقة شعوب المنطقة في الخطاب الديني بعد الانتكاسات التي عرفتها تجارب الإسلام السياسي في أكثر من دولة عربية، سواء بسبب أخطاء ذاتية أو بفعل الثورات المضادّة التي قادتها ومولّتها الأنظمة عربية هي نفسها التي سارعت إلى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، وتعرب اليوم عن ترحيبها بهذه الدعوات الغربية المنافقة للاعتراف بالدولة الفلسطينية. فهذه الأنظمة تخاف من استعادة الشعوب العربية مبادرة استئناف ثوراتها المجهضة من أجل تقرير مصيرها كما حصل عام 2011 إبّان ثورات «الربيع العربي».

وفي هذا السياق، يأتي السبب الرابع، وهو، في تصوري، السبب الاستراتيجي والأهم، بالنسبة لمن يروجون الآن حلّ الدولة الفلسطينية، ونسي العالم شيئاً اسمُه الدولة الفلسطينية التي لم يعد لها وجود داخل مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي رسمت معالمه الجديدة «اتفاقات أبراهام» المشؤومة، إلى أن جاء «طوفان الأقصى» ليربك هذه الخطط الجهنمية، ويعيد خلط الأوراق. لذلك، العودة اليوم إلى الحديث عن قيام الدولة الفلسطينية ممّن كانوا يخططون لمحو آثارها ليس بريئا، وإنما هو خدعة واضحة للعيان تفضح أغراضها أسباب إثارة الموضوع في هذه اللحظة بالذات.

السبب الأول، إنقاذ إسرائيل من الفشل الذي منيت به حربها الإجرامية، بعدما غرق جيشها في وحل غزّة ورمالها، وسقطت كل خططها العسكرية وفشلت في تحقيق أيٍّ من أهدافها سواء السياسية أو العسكرية أو الاستراتيجية. وفي المقابل، منيت بأكثر من هزيمة، سوف تتكشّف ملامحها بعد انتهاء حربها على غزّة، سواء على المستوى الاستخباراتي أو الأمني أو العسكري، وفقد جيشها هيبته وما كان يدّعيه من أخلاق، وأصبح قادته وعناصره مهدّدين بالملاحقة القضائية في العالم بسبب الجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبونها في غزّة والضفة الغربية ضد الأطفال والنساء والمدنيين العزّل الأبرياء.

السبب الثاني، محاولة احتواء تنامي وعي الرأي العام الغربي الذي بدأ ينقلب ضد ساسته ويتهمهم بالتواطؤ مع إسرائيل في جرائمها. وفي حالات أخرى، أصبح هذا الرأي العام ينتقد صرف حكوماته أموال دافعي ضرائب بلدانهم لدولة إسرائيل الاستعمارية التي ترتكب جرائم ضد الإنسانية. وفي دولة مثل الولايات المتحدة، تهدف إدارة الرئيس جو بايدن من حديثها الزائف عن قيام دولة فلسطينية إلى استعادة ثقة جزء واسع من الرأي العام الأميركي في أوساط العرب والمسلمين والديمقراطيين، الذين باتوا يشكّلون مصدر تصويت عقابي قد يحول دون إعادة انتخاب بايدن في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل.

السبب الثالث لهذه الحماسة المتأخرة للدعوة إلى الاعتراف بدولة فلسطينية حفظ وجه ماء الأنظمة العربية المتواطئة فعلاً أو بسكوتها، مع أكثر الحروب الإسرائيلية الغربية إجراما في حقّ الفلسطينيين، وإنقاذاً من تداعيات هذه الحرب مستقبلاً، فطوفان الأقصى أعاد ثقة شعوب المنطقة في الخطاب الديني بعد الانتكاسات التي عرفتها تجارب الإسلام السياسي في أكثر من دولة عربية، سواء بسبب أخطاء ذاتية أو بفعل الثورات المضادّة التي قادتها ومولّتها الأنظمة عربية هي نفسها التي سارعت إلى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، وتعرب اليوم عن ترحيبها بهذه الدعوات الغربية المنافقة للاعتراف بالدولة الفلسطينية. فهذه الأنظمة تخاف من استعادة الشعوب العربية مبادرة استئناف ثوراتها المجهضة من أجل تقرير مصيرها كما حصل عام 2011 إبّان ثورات «الربيع العربي».

وفي هذا السياق، يأتي السبب الرابع، وهو، في تصوري، السبب الاستراتيجي والأهم، بالنسبة لمن يروجون الآن حلّ الدولة الفلسطينية، ونسي العالم شيئاً اسمُه

> لا يُلدغ المؤمن من الجُحر مرّتين، فما بالكَ إذا كان المؤمن مقاوماً ومجاهداً وفدائياً ومقاتلاً، وما بالكَ إذا كان اللدغُ مستمرّا

إليه أنظمة عربية أخرى، وفي مقدمتها السعودية المرشحة القوية لركوبه في اليوم التالي بعد توقف الحرب، فقد كان أحد شروط الرياض للالتحاق به، قبل الحرب، إيجاد حلّ للقضية الفلسطينية، وحديث لندن وواشنطن وباريس اليوم عن حلّ الدولة الفلسطينية موجّه بالأساس لمغازلة النظام السعودي، تمهيدا للالتحاق بقطار التطبيع. وأهمية هذا السبب تكمن في أنه يخدم مصلحة إسرائيل والدول الغربية الداعمة لها والدول العربية المطبّعة وتلك المتواطئة معها، ويكرّس الكيان الصهيوني، كما أثبتت ذلك هذه الحرب، قاعدة عسكرية واقتصادية متقدّمة لفرض هيمنة الغرب الإمبريالي على المنطقة، واستمرار نهب مقدّراتها وتفقير شعوبها.

تبعا لكل ما سبق، الحديث عن الاعتراف بدولة فلسطينية فيما يباد الفلسطينيون يوميا ويموتون بردا وجوعا أمام مرأى العالم وسمعه، مجرّد خدعة مفضوحة.

وأخيرا، الشروط التي يضعها أصحاب هذه الخدعة على الفلسطينيين، من خلال فرض وصايتهم القبلية على الشعب الفلسطيني، والتدخّل في شؤون دولته الموعودة، حتى قبل أن تقوم لها قائمة، بتحديد من يحقّ له أن يحكمها ويسيّر شؤونها، فهل هم يريدون دولة للفلسطينيين أو فقط فتح ملحاً كبير لهم يضعونه تحت وصايتهم ومرافقتهم وتصرّفهم؟ لقد أثبت الشعب الفلسطيني الذي قدّم تضحيات جسيمة طوال الشهور الماضية أنه أذكى من أن تنطلي عليه مثل هذه الخدع السخيفة، فهذا الشعب علّم العالم معنى التضحية والصمود والمقاومة، وبين أبنائه من النساء والرجال من لن يقبلوا خيانة شعبهم، ومن لن يقبلوا تمرير هذه الخدعة، فالمؤمن لا يُلدغ من الجحر مرّتين، فما بالك إذا كان المؤمن مقاوما ومجاهدا وفدائيا ومقاتلا، وما بالك إذا كان اللدغُ مستمرّا ومن الجحر نفسها منذ قرن وثلاثة عقود هي عمر التامر البريطاني الصهيوني الأميركي الإمبريالي ضد فلسطين وشعبها المنكوب!

الدولة الفلسطينية هي الحل، وهي آتية لا محالة، سيقيمها الفلسطينيون، وكما كان يقول الشهيد ياسر عرفات «يرونها بعيدة .. ونراها قريبة .. وإنا لصادقون».

(كاتب وإعلامي مغربي)

أفريقيا وثنائية الفوضى والاستبداد

سمير حمدي

تصاعدت في العشرية الأخيرة حمّى الانقلابات في الدول الأفريقية، خصوصا منها دول جنوب الصحراء، وترافقت مع حالة من عدم الاستقرار والفوضى والحروب الأهلية. ويبدو أن الصعوبات التي تواجهها البلدان الأفريقية التي شهدت انقلابات حديثة أو قديمة في إيجاد حل لاستكمال مراحل تطورها السياسي منذ الاستقلال جعلها تقع تحت وطأة ثنائية مقيتة هي الاستبداد والفوضى.

بمراجعة تاريخ الدول الأفريقية، سواء جنوب الصحراء أو شمالها، نجد أنها ظلت تعاني من أزمات متتالية بين استقرار وهمي أو فوضى عارمة تصل إلى حد التقاتل الأهلي. ففي خلال هذه الفترة التي تجاوزت الستين سنة، كانت حالات عدم المساواة، والفقر، وانعدام الأمن الغذائي، وعدم شفافية الحسابات العامة، والفساد، والإفلات من العقاب والظلم، والصراعات العرقية والدينية، الحقيقية منها والمفتعلة، هي السائدة. ومن السهل تحميل الاستع

فلسطين وفقاعة اليوم التالي

علي العبدالله

قاد عدم تحقيق العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة أهدافه المعلنة في «سحق» حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وتحرير الرهائن لديها، وتصاعد ضغط الرأي العام العالمي تحت تأثير صور القتل والدمار والنزوح لوقف الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين في القطاع، وتصاعد المخاوف من الانزلاق نحو حرب إقليميةٍ واسعة في ضوء تنامي عملياتٍ «محور المقاومة» وتنوعها، واستهدافه القواعد الأميركية وطرق الشحن الدولية في البحر الأحمر وبحر العرب، كما باستهدافه الكيان الإسرائيلي بالصواريخ البالستية والمسيّرات، ونفاد الوقت، حيث شهر رمضان والانتخابات الرئاسية الأميركية على الأبواب، قاد هذا كله إلى نشوء ميل سياسي دولي إلى وقف العدوان والدخول في مسار لإحلال «السلام» بين الفلسطينيين والإسرائيليين على قاعدة حلّ الدولتين جسّدته مشاريع تحت عنوان «اليوم التالي» طرحتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي.

بدأ حديث الإدارة الأميركية عن «اليوم التالي» في ذروة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة كما لو كان مناورة لاحتواء ردّات الفعل العربية والإسلامية وتنفيس الاحتقان الشعبي المتصاعد، الذي أجّجته صور القتلى، خصوصا بين الأطفال والنساء، وصور الغزّيين الهائمين على وجوههم هربا من القصف الوحشي وصور الدمار الذي لم يترُك مجمّعات سكنية أو مستشفيات أو مدارس وجامعات ومساجد ومواقع أثرية ومقابر وبنى تحتية إلا واستهدفها، خصوصا وأن حديثها عن «اليوم التالي» اقترن بدعمها العسكري والسياسي غير المحدود للعدوان الإسرائيلي ورفضها دعوات وقف إطلاق النار. وجاء إطلاق مليشيات تابعة لإيران هجمات بالصواريخ والمسيّرات على القواعد الأميركية في سورية والعراق واستهداف حركة أنصار الله اليمنية السفن الإسرائيلية والمتوجهة إلى إسرائيل، ما أدّى إلى عرقلة الملاحة في البحر الأحمر ودفع الإدارة إلى الرد بقصف مواقع «الحركة» في اليمن وقصف مواقع المليشيات التابعة لإيران في سورية والعراق، ليصبّ الزيت على النار ويجعل احتمال اتّساع دائرة الحرب راجحا.

كما أدّى انطلاق التظاهرات الضخمة في المدن الأميركية ومقاطعة العرب والمسلمين الأميركيين حملة الرئيس جو بايدن، الانتخابية، ومقاطعته في لقاءاته الانتخابية بالهتافات المطالبة بوقف العدوان على غزّة، وإصدار 48 مدينة أميركية على الأقل قرارات رمزية تدعو إلى وقف القصف الإسرائيلي على غزّة، وست مدن أخرى قرارات تدعو إلى السلام، إلى تصعيد الضغط على الإدارة، وإلى ضغط الإدارة على إسرائيل كي تأخذ الدعوة إلى «اليوم التالي» على محمل الجدّ وتطرح تصوّرها حول ذلك.

انطوى مشروع الإدارة الأميركية لليوم التالي على خطواتٍ تبدأ بوقف إطلاق النار وتبادل الأسرى والرهائن وإصلاح مؤسّسات السلطة الوطنية الفلسطينية وأجهزتها، وتفعيل منظمة التحرير كي تلعب الأولى دورا في إدارة قطاع غزّة وتلعب الثانية دورا في شرعنة هذا الدور من دون اعتراض على انضمام حركتي حماس والجهاد الإسلامي إليها بعد قبولهما بما تبنّته من مواقف وعقدته من اتفاقات مع الكيان الإسرائيلي، والخاتمة دولة فلسطينية منزوعة السلاح لضمان أمن إسرائيل. ولتحفيز رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ونيل موافقته على المشروع، ربطت بين التطبيع السعودي وإنشاء دولة فلسطينية.

اشتمل المشروع البريطاني على وقف القتال والبدء بإدخال مزيدٍ من المساعدات الإنسانية للاستجابة للأوضاع المأساوية في القطاع، والعمل على إخراج الرهائن وتبادل الأسرى، إلى جانب الشروع بسلسلة من الترتيبات السياسية التي تفضي إلى «تغييرات جذرية» لدى الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي بهدف التمهيد للبدء بإعادة إعمار غزّة، والمضي إلى إقامة دولة فلسطينية على حدود عام 1967، واعتراف الأطراف الدولية فيها بما في ذلك الأمم المتحدة. وهذا كله مرتبطٌ بجملة مسلّمات أولاها سلطة وطنية فلسطينية جديدة يقودها تقنيون، وثانيها رفض أي دور لحركة حماس في إدارة قطاع غزّة أو المشاركة في أي حكومة لإدارة شؤون الفلسطينيين في المرحلة المقبلة، وثالثها مرحلة انتقالية هدفها التحضير لإجراء انتخابات عامة تفضي إلى تشكيل قيادة فلسطينية جديدة وفق نتائج صندوق الاقتراع.

وجاء المشروع الأوروبي على شكل خريطة طريق بعشرة بنود إجرائية هدفها الوصول إلى حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، تبدأ بعقد مؤتمر دولي للسلام على مستوى وزراء خارجية ومديري المنظّمات الدولية لا يحضرُه طرفا الصراع مع عقد اجتماعات منفصلة معهما لوضعهما في صورة ما يُطرح في المؤتمر، الذي سيحدّد صيغة للسلام الشامل بناءً على قرارات الأمم المتحدة السابقة وجهود الوساطة الدولية، لينتهي بوضع «إطار مبدئي» خلال عام يقدّم إلى طرفي الصراع، ويدعوهما إلى التفاوض على الصيغة النهائية. استند المشروع إلى جملة مسلّمات، أولها هدف مؤتمر السلام إقامة دولة فلسطينية، وثانيها التطبيع الكامل بين الدول العربية وإسرائيل، وثالثها أن توفر الخطّة ضمانات أمنية قوية لإسرائيل والدولة الفلسطينية المستقبلية، ورابعها الاعتراف الدبلوماسي الكامل المتبادل، وخامسها التكامل بين إسرائيل وفلسطين.

عمل رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، على احتواء ضغط الإدارة وقطع الطريق على مشاريع «اليوم التالي» الأخرى، فلجأ إلى تبنّي تصوّر لليوم التالي، اعتبره الكاتب الإسرائيلي في صحيفة معاريف، بن كسبيت، «بالون اختبار»، وأرسله مع رجل يثق به كثيرا، وزير الشؤون الاستراتيجية، رون ديرمر، لمناقشته مع مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، أساسُه إقامة حكم عسكري إسرائيلي كامل في غزّة، يدير نقل المساعدات الإنسانية ويتحمّل المسؤولية عن العناية بالسكّان المدنيين، تشكيل ائتلاف دولي من دول عربية تشارك فيه السعودية، مصر، المغرب، الإمارات، البحرين ودول أخرى، سيكون هذا الائتلاف جزءاً من اتفاق التطبيع الإقليمي، إقامة جسم جديد يسمّى «السلطة الفلسطينية الجديدة» لإدارة قطاع غزّة، مع حقّ إسرائيل في العمل الأمني في القطاع بالصيغة التي تعمل فيها داخل الضفة. إجراء إصلاح لأداء السلطة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية، وفي مواد التعليم الفلسطيني، وفي معالجة الإرهاب. وهذا من دون إخلاء المستوطنات القائمة. وإذا نُفذت هذه المراحل كما تريد إسرائيل تعترف بدولة فلسطينية منزوعة السلاح.

تتطابق مشاريع «اليوم التالي» المذكورة حول البدء بوقف إطلاق النار في قطاع غزّة وتبادل الرهائن والأسرى لدى الطرفين، وحول خاتمة العملية السياسية: دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزّة وعاصمتها القدس الشرقية، حدود عام 1967 مع تعديلاتٍ على قاعدة تبادل أراضٍ، وتتباين في المسار لبلوغ النهاية «السعيدة»، وفي الموقف من مصير حركة حماس والسلطة الوطنية الفلسطينية، فمشروع الإدارة الأميركية يتبنّى موقفاً داعماً لـ «السلطة» ومعتدلاً من انضمام حركة حماس لمنظمة التحرير، بينما موقف مشروعي المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي إيجابي من «السلطة» ومتطابقٌ مع المشروع الإسرائيلي في رفضه القاطع أي دور لحركة حماس.

أثار التطابق والتباين بين مشاريع «اليوم التالي» أسئلة بشأن فرص تعاون أصحاب هذه المشاريع وتوافقها على صيغة مشتركة لإنجاح التوجّه ودفعه نحو النهاية المعلنة: سلام على قاعدة حل الدولتين، ومخاطر ذهابهم إلى المفاضلة وتمسك صاحب كل مشروع بمشروعه وضياع الوقت والجهد.

> ستبقى مشاريع «اليوم التالي» معلقة، ما لم تدفع التطورات الميدانية إلى خضوع الموقف الإسرائيلي للضغط الدولي عموماً، والأميركي خصوصاً، وتسليمه بحلّ الدولتين

> يزيد الموقف تعقيداً ضعف أوراق الطرف الفلسطيني في ضوء الانقسام الفلسطيني وانعدام فرص الاتفاق بين «السلطة» وحركة حماس

واقع الحال أن ثمّة إمكانية لتوافق وتنسيق بين الإدارة الأميركية والمملكة المتحدة، وفي حين لن يحصل المشروع الأوروبي على فرصة للوجود على الطاولة لاستحالة قيام توافق دولي بسبب انفجار التنافس بين القوى العظمى وتحفظ الولايات المتحدة على قيام الاتحاد الأوروبي بدور مستقل وقيادي في عملية السلام في الشرق الأوسط واستياء الجنوب العالمي من سياسات الغرب، فإن الراجح ذهاب الإدارة الأميركية والحكومة الإسرائيلية نحو المفاضلة والانخراط في سجال بيزنطي، لأن نتنياهو ورغم وضعه تصوّرا «لليوم التالي»، إلا أنه أغلق الطريق بلاءاته الكثيرة: لا للسلطة الوطنية ولا لحركة حماس ولا لسيادة فلسطينية بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط... إلخ. كما أنه مقيّد بائتلاف حاكم فيه وزراء من أقصى اليمين لا يرفضون الحديث عن وقف الحرب والتنازل في ملف الرهائن فقط، بل ويدعون إلى ترحيل الفلسطينيين وضمّ قطاع غزّة وإعادة الاستيطان فيه، وأي تقدّم في المفاوضات أو القبول بحلّ الدولتين سيقود إلى انهيار الائتلاف والذهاب إلى انتخابات مبكّرة لن تكون في مصلحته وهو حريص ويقاتل من أجل مستقبله السياسي ونجاته من الإدانة بتهم بالفساد. لذا سيناور لكسب الوقت حتى إجراء الانتخابات الرئاسية الأميركية، على أمل عودة الرئيس السابق، دونالد ترامب، إلى البيت الأبيض من دون استبعاد استخدامه ورقة تفجير مواجهة شاملة مع حزب الله اللبناني لخلط الأوراق وتوريط الإدارة الأميركية في الحرب. كما هناك تباينات بين الإدارة والسلطة الوطنية الفلسطينية بشأن حدود دولة فلسطين والسيادة على الأرض، حيث ما زالت الإدارة تربط الاتفاق على الحدود باتفاق طرفي الصراع، ما سيعيد الموقف إلى المربّع الأول، حيث لم تنجح المفاوضات السابقة بين الطرفين في الاتفاق على حلٍّ لقضايا الحدود والسيادة والأمن.

وما يزيد الموقف تعقيدا ضعف أوراق الطرف الفلسطيني في ضوء الانقسام الفلسطيني وانعدام فرص الاتفاق بين «السلطة» وحركة حماس، فالخلاف بين الرؤى والتصوّرات وعلى الأوزان والأدوار والحصص أفشل كل مفاوضات المصالحة التي تمت في السنوات الماضية، فما بالك ووزن حركة حماس قد تضاعف لدى الشارع الفلسطيني بعد عملية طوفان الأقصى، وتخلّي الأنظمة العربية عن مساندة «السلطة» وتركها تواجه مصيرها منفردة، فالبرغم مما قيل عن تزايد التنسيق بينها والسعودية فإن موقف الأخيرة لا يشكّل غطاء وحماية لها. قال مستشار الأمن الوطني السعودي في اجتماع مديري أجهزة المخابرات العربية في الرياض «إن المملكة لا تزال مهتمة بالمضي في التطبيع مع إسرائيل مقابل خطوات عملية وغير قابلة للنقض من إسرائيل من شأنها أن تمهد الطريق نحو إقامة دولة فلسطينية، حتى لو لم تتم إقامة هذه الدولة على الفور». وكانت ثلاثة مصادر قد قالت لوكالة رويترز إن السعودية، وفي مسعى إلى إبرام اتفاق دفاعي مع واشنطن قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية، ستكون مستعدّة لقبول التزام سياسي من إسرائيل بإقامة دولة فلسطينية بدلاً من أي تعهدات أكثر إلزاما، فلدى الأنظمة العربية مشكلاتها وحلولها الخاصة، ولا تنوي التصعيد لتحسين أوراق «السلطة» وحماية الحقّ الفلسطيني. ستبقى مشاريع «اليوم التالي» معلّقة، ما لم تدفع التطورات الميدانية إلى خضوع الموقف الإسرائيلي للضغط الدولي عموما، والأميركي خصوصا، وتسليمه بحلّ الدولتين.

(كاتب سوري)

عندما التقيتُ القيصر بكنباور

أحمد المرزوقي

لمّا سمعت بوفاة قيصر كرة القدم بكنباور، تأسفت ورجعت بي الذكرى إلى لقاء لي معه في أواخر سنة 2001، وذلك بعدما دعاني مرّة سفير ألمانيا وقتذاك في الرباط هانس ديتريش شيبل، وكانت لي معه صداقة غريبة يضيق المجال هنا للحديث عنها. استقبلني كعادته بالابتسامة الهادئة والتواضع الكبير الذي نفتقده كثيرا عند معظم مسؤولينا العرب الذين يستمرئون التعاظم أمامنا نحن المواطنين البسطاء. وبما أن الكلفة كانت قد زالت بيننا، كنت أبيح لنفسي ممازحته أحيانا بقدر محدود، حيث قال لي بعد المصافحة: لي عندك خبر أعتقد أنه سيسرّك.

فأجبت مبتسما: اللهم اجعلنا دائما من المسرورين. ... ردّ: اعتادت السفارة الألمانية أن تختار كل سنة شخصية مغربية وتوفدها مستضافةً بضعة أيام على حسابها إلى ألمانيا. وهذه السنة اخترناك أنت، ولا سيما أن معرض الكتاب في فرانكفورت قد فتح أبوابه، فكان التخمين لدينا أنه قد تروقك زيارته. فقلت مستبشرا: يا لها من مفاجأة عظيمة السيد السفير. ليقول بلهجة جادّة: ما دمت موافقا، سوف ألقي عليك الأسئلة التي عادة ما نطرحها على ضيوفنا، أولا: من أهم الشخصيات البارزة التي تعرفها في بلدنا؟

دار السؤال في ذهني بسرعة، ثم أجبته: كلوديا شيفر.. التفت إلى السكرتيرة وقال لها آمرا: سجلي اسم السيدة شيفر. ... أردت أن أستدرك الأمر لما رأيتُ أنه تجاهل مزاحي: لا.. أنا أمزح، لو علمت زوجتي بأني أسعى إلى لقاء عارضة أزياء من أجمل حسناوات الدنيا، لنتفت آخر الزغيبات التي تركها التصحّر حول أذني.. تجاهل ما قلت، فأرسل السكرتيرة لتتأكد من مكان إقامتها. عادت بعد لحظة وقالت: آسفة سيدي، مدام شيفر تستقر اليوم في أميركا.. ... ليستأنف: من تعرف من الشخصيات الألمانية الأخرى؟ تريثت لحظة فقفز إلى ذهني اسم فألقيت به: بكنباور... سجلت السكرتيرة اسم الرياضي المشهور، وتابع السفير سؤاله: ثم من؟ لم أجد جوابا ولم أدر ما أقول. فعقب: ما رأيك لو رتبنا لك لقاء مع وزير البيئة، فأنت ابن البادية وتحبّ الطبيعة؟ سألني السفير مواصلا ترتيب لقاءاتي مع بعض الشخصيات في أثناء زيارتي المنتظرة للبرّ الألماني.

وهكذا، وجدُتني بعد أيام في معرض الكتاب بفرانكفورت، وأقضي أياما جميلة في برلين، ثم في ميونخ، وفي كل يوم كانت لي لقاءات عجيبة ومفاجآت كبيرة دوّنت عنها بتفاصيلها في مذكراتي. والحقيقة أنني انبهرت بهذا البلد العظيم، وأعجبت أيّما إعجاب بعقلية سكّانه المتميزة بالجدّية وتقديس العمل. وقد تركت في نفسي العاصمة البافارية ميونخ على الخصوص أثرا بالغا حيث سحرتني بمعمارها ومآثرها ونظافتها.

وذات مساء، رجعتُ مع مرافقتي إلى الفندق منهكاً بعد زيارات لبعض المتاحف، وفي نيتي أن أغرق في نوم عميق. لكن ما كدت أودعها وأقول لها إلى الغد، حتى قالت لي: استرح ساعة واستعد للقاء بكنباور. وكنتُ قد نسيتُ أني في الرباط طلبت لقاءه.

توجهنا في تاكسي إلى ملعب بايرن ميونخ، وراقني جماله وسعته والتنظيم المتقن الذي يسود في مدرّجاته، وقد كان غاصاً على آخره قبل انطلاق المباراة التي كان سيُجريها فريقه في إطار دوري أبطال أوروبا ضد خصمه حينها دينامو كييف الأوكراني. انتهى الشوط الأول بانتصار الفريق البافاري بثلاثة أهداف لصفر. وفي الاستراحة، تبعتُ مرافقتي إلى مقصف الفريق، فإذا بي أجد أمامي القيصر في انتظاري بقامته الطويلة.

ارتبكت، وكيف لي ألا أرتبك وأنا دائما أستحضر في مثل هذه الظروف عشرين سنة من القهر والمذلّة والاحتقار قضيناها في غياهب مقبرة سجن تزممارت المرعب، وهي مدة تمثل متوسّط عمر فصيلة نادرة من الكلاب، مدة سلبوا فيها آدميتنا وحاولوا إقناعنا أننا أهون مخلوقاتٍ دفنت حية على أرض بلد عربي اسمه المغرب.

صافحني الرجل بقبضة حديدية. ولو لم أكن متحدرا من البادية لكانت أصابعي قد تحطّمت من شدة قبضته تلك، ثم رحب بي بجمل فرنسية ركيكة سرعان ما تركها وعاد إلى لغته بعدما علم أن معرفتي بالإنكليزية لا تزيد على كلمة «هاو آريو». فترجمت لي مرافقتي قوله ما معناه إنهم وضعوه في صورة من سيلتقي به قبل هذا اللقاء، وأنه سعيد بلقائي.

شكرتُه وقلت له والمرافقة تترجم كلامي جملة فجملة: السيد بكنباور، أنا من أشد المعجبين بك، وقد تتبعت مسارك منذ كأس العالم في إنكلترا سنة 1966، وما زلت أذكر وأنتم تلعبون النهاية مع البلد المضيف أن هدفا من أهداف غريمكم كان فيه كثير من الشك.. ابتسم وأجابني بمرح: هل كنتَ مولودا في تلك الآونة؟ أراك دون سنّك الحقيقي. فأجبتُه مازحا: أنا تقريبا في سنّك، الفرق بيننا أنك تجولت كثيرا وتعرّضت للفحات الشمس، بينما أنا كنت مجمّدا بإحكام في ثلاجة كبيرة.

ضحك وقال: أعرف ذلك مؤسف، مؤسف. .. ثم استأذنني بلطف بالغ وهو يشير إلى شخصين بالقرب منا: هل من حرج في أن نأخذ معا صورا مع ذينك الصديقين؟ دقّقت بصري في الرجلين فتعرفت إليهما فورا، إنهما كارل هاينز رومينيكي ورودي فولير. فقلت في نفسي: سبحان مبدّل الأحوال.. الحارس «السرخينطو» الذي طلبت منه عود ثقاب لمّا لسعتني عقرب في الزنزانة رقم 10، وكنت أشرفتُ على الهلاك، قال لي متهكّما: من حقّ العقرب أن تدافع عن نفسها، إذ لو لم تؤذها لما آذتك. والقيصر بكنباور يستأذنني أن ينضم إلينا رومنيكي وفولير لأخذ صورة جماعية معنا. ... قلت لبكنباور لما سلّمتُ على رومينيكي: إنه شارك مع المنتخب الذي أقصانا بهدف قاتل في اللحظات الأخيرة من مقابلتنا معكم في ثُمن نهاية كأس العالم سنة 1986 في المكسيك.

ابتسم اللاعبون الثلاثة دفعة واحدة، فعلق بكنباور: الحقيقة أننا نجد دائما صعوبة جمة كلما التقينا مع فرق أفريقيا الشمالية. فأجبته أجل.. مقابلتنا معكم في المكسيك سنة 1970 ومقابلتكم مع الجزائر في كأس العالم سنة 1982.

وقع لي بكنباور أوتوغرافا قبل أن نفترق، وقال لي والابتسامة لا تفارق محيّاه: على كل حال أنت فأل حسن علينا لأننا متقدّمون في الشوط الأول لمباراة البايرن بثلاثة إلى صفر.

ولما عدتُ إلى المغرب ونشرت رئيسة القسم الصحافي في السفارة الألمانية حينها، سيلفيا كرونيك، صوري مع القيصر، ذهب كثيرون في تعليقاتهم باتجاهات شتى. كان لقاءً لن أنساه ما حييت.

وداعا بكنباور، ألهمت كثيرين بإبداعك في الميدان وتواضعك الإنساني الذي لم تحجبْه نجوميّتك. وما يؤسفني حقّا أن صورة ألمانيا، البلد الكبير بمثقفيه وفنانيه ورياضييه وشعبه الذي خرج من تحت التراب في حربيْن طاحنتين، قد تكدّرت في نظري بعد انحيازها السافر لكيان الاحتلال الإسرائيلي في حربه لإبادة غزة التي تعتبر في أساليبها امتدادا لأساليب المدرسة النازية وجرائمها البائدة.

(حقوقي وناشط مغربي)

> وداعاً بكنباور، ألهمت كثيرين بإبداعك في الميدان وتواضعك الإنساني الذي لم تحجبْه نجوميّتك

> مازحت بكنباور: أنا تقريباً في سنّك، الفرق بيننا أنك تجولت كثيراً وتعرّضت للفحات الشمس، بينما أنا كنت مجمّداً بإحكام في ثلاجة كبيرة

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads